

## مرض الفصام والإدمان

(13)

مرض الفصام أو السكيزوفرينيا حالة مرضية تتميز بنوعين من الانفصام هما:

- انفصام وتفكك في بنية الشخصية، وبين مكوناتها الثلاثة: العقل والوجدان والسلوك، لتعمل بدون انسجام بينها، محدثة خللاً واضطراباً كبيرين في حياة الفرد المصاب.

- انفصام المريض عن الواقع وفقده للقدرة على فهمه أو على التكيف التدريجي معه. فيصبح يعيش في عالم منغلق خاص به وكأنه في حلم مستمر، وهو ليس حلماً عادياً لشخص عادي، بل هو حلم من عالم الخيال المنفصل عن الواقع والذي يعيشه المصاب كأنه هو الواقع الحقيقي.

يصيب مرض الفصام حوالي واحداً بالمئة من المواطنين، أي أن بالمغرب حوالي ثلاثمئة ألف وخمسين ألف شخص مصاب به. وأكثر المصابين تبدأ إصابتهم فيما يتراوح بين

15 و 35 سنة، ومع ذلك فمن الممكن أن يبدأ المرض في أي عمر، لكن ذلك يكون نادرا بعد سن الأربعين. وهو يصيب الذكور والإناث بنسب متساوية. كما أنه موجود في كل شعوب العالم، ويصيب - دون أي تمييز - كل الأجناس والثقافات وكل الطبقات الاجتماعية.

والفصام مرض مزمن، يجب النظر إليه كما ينظر إلى أي مرض عضوي مزمن مثل ارتفاع ضغط الدم وداء السكري. وهو من أشد الأمراض النفسية وأخطرها. يؤدي في الغالب، وعند غياب أي علاج، إلى تدهور كبير في العلاقات الأسرية والصلات الاجتماعية والمستوى الدراسي والمهارات المهنية. وله تأثيرات كبيرة على حياة الفرد والمجتمع أهمها:

- أن مرض الفصام يؤدي بالمرضى إلى العزلة والانعطاف ليسبحوا في عوالم خيالية لا تمت إلى الواقع بصلة، مما يجعلهم في الغالب عاجزين عن العمل والإنتاج، معتمدين على أسرهم لمدد طويلة أو مدى الحياة.

- أنه يجعل أسرهم تغرق في مشاكل ومعاناة معنوية ومادية بسبب أن أبنائهم لا يستطيعون الاعتماد على الذات أو بسبب تصرفاتهم المتسمة بالفوضى والعبثية حيناً، وبالعنف والثوران غير المضبوط حيناً آخر.

- أن نسبة مرضاه بالمستشفيات يعتبرون - في الغالب - الأكثر من بين جميع أنواع المرضى، فتؤكد بعض الإحصائيات أن حوالي 8% من عموم الأسرة مشغولة بهم، وكذلك حوالي 50% من أسرة المستشفيات والمصحات النفسية.

- أن مرضى الفصام يشكلون 1% من نسبة المعاقين في المجتمع وثلث عدد المشردين بدون مأوى

- أن تكلفة علاج مرضى الفصام عالية جداً، استشفاء وأدوية وخدمات وغيرها، وتمتص جزءا كبيرا من ميزانيات وزارات الصحة في الدول المتقدمة.

إنه على الرغم من التقدم في الأبحاث العلمية والطبية حول مرض الفصام فلا يزال هناك الكثير من المفاهيم والأفكار الخاطئة عنه منتشرة بين الناس، ولا يزال الكثيرون يعتبرون المرض وصمة عار في جبين الشخص المصاب.

أما فيما يخص علاقة الفصام بالإدمان فتشير الدراسات على المستوى الدولي إلى معطيات مهمة ومثيرة.

فمن جهة أولى يتعرض المصابون بالفصام لمخاطر الإصابة بالإدمان من مرتين إلى خمس مرات أكثر مقارنة بالساكنة العامة. وتؤكد الإحصائيات في بعض الدول أن حوالي 50 بالمئة تقريبا من المصابين بالفصام يصبحون في مرحلة من مراحل حياتهم مدمنين على الكحول أو على مخدر واحد على الأقل، بينما تتراوح هذه النسبة بين 13 و 20 بالمئة فقط لدى عموم المواطنين. ويعتبر الحشيش أكثر أنواع المخدرات شيوعا بينهم بعد تدخين التبغ.

وبالمقابل تشير الدراسات إلى أن حوالي 33 في المئة من المدمنين على المخدرات يعانون من الفصام أو سيعانون منه.

ويحدد الخبراء طبيعة العلاقة بين الفصام والإدمان في واحدة من الحالات التالية:

1 - مرض الفصام سبب في استعمال المادة أو المواد المسببة للإدمان، وهذا كثير جدا. وتفسيره أن لدى المريض بالفصام هشاشة نفسية تجعله يقبل على الإدمان بسهولة. وفي كثير من الأحيان يكون ذلك بسبب إحساس المريض بقلق نفسي ممزق يسمى القلق الذهاني، أو إحساسه باكتئاب وقلق ناتجين عن غموض التدهور الذي يلاحظه في حياته النفسية وقدراته العقلية.

2 - الإدمان سبب في ظهور فصام كامن لدى المريض. فالفصام كان موجودا لكنه لم يبرز بعد سريريا، فيكون الإدمان هو المظهر له.

3 – الإدمان يزيد من احتمال الإصابة بالفصام. وهو احتمال يذهب إليه عدد من الباحثين، على الرغم من صعوبة التمييز بين الأعراض الشبيهة بالفصام التي كثيرا ما تسببها عدد من المخدرات، وبين الفصام نفسه.

انطلاقا من هذه المعطيات من الضروري تشخيص حالة التزامن بين الإدمان والفصام، قبل الإقدام على علاجها، والحذر من تغطية أحد الاضطرابين للآخر مما سيطيّل العلاج أو يضر به.

\* نشر بجريدة المساء المغربية بتاريخ 19 يونيو 2015